

تجربة تكوين الأطر التربوية للغة الأمازيغية بين إكراهات الواقع وطموح التأهيل

محمد البغدادي
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

Résumé

Après plus de cinq années d'exercice en matière de formation des cadres de l'enseignement de la langue amazighe, il est temps de dresser un bilan de cette formation assurée conjointement par le MEN et l'IRCAM, et de s'interroger sur les perspectives.

La formation assurée depuis l'intégration de l'amazighe dans le système éducatif en 2003 est considérée comme relevant de la « formation continue ». Cependant, le concept peu approprié pour désigner la spécificité de cette formation, telle elle qu'est conçue et pratiquée sur le terrain.

Des progrès relatifs à la formation des enseignants et des inspecteurs de l'amazighe ont été enregistrés, mais des efforts sont encore à déployer dans ce domaine, il reste encore beaucoup de choses à faire. Pour mener à bien la généralisation verticale et horizontale de l'enseignement de l'amazighe dans la perspective de la « normalisation » de cet enseignement, on doit opter pour une formation initiale pour mieux préparer les cadres de l'enseignement de la langue amazighe. Cet objectif ne peut être atteint que par la mise en œuvre d'une stratégie adéquate de formation des ressources humaines pour les différents cycles d'enseignement.

تم إدماج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية الوطنية ابتداء من الموسم الدراسي 2003-2004. وقبل الإدماج الفعلي لها في التعليم الابتدائي، بادرت وزارة التربية الوطنية إلى تنظيم دورات تكوينية لفائدة الأطر التربوية المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية. وقد شرع في تنظيم هذه الدورات التكوينية منذ سنة 2002 لفائدة الأساتذة والمفتشين الناطقين بالأمازيغية الممارسين في التعليم الابتدائي.

تعتبر هذه التجربة فريدة من نوعها بالمقارنة مع التقاليد المتداول في مختلف الأنظمة التربوية. فقد جرت العادة أن يمر توظيف الأطر التربوية عبر تأهيل جامعي أكاديمي، وعبر تكوين بيداغوجي ملائم للمهام المنتظرة منها، وهذا لم يحصل بالنسبة لتدريس اللغة الأمازيغية، نظرا لعدم وجود أطر تتوفر على تكوين أكاديمي وبيداغوجي. فالوزارة الوصية لم تعتمد مسبقا استراتيجية مدروسة لعملية الإدراج، حيث كان قرار الإدماج اختيارا سياسيا أكثر مما هو تخطيط لمشروع تربوي.

بالرغم من أن هذه التجربة الفريدة من نوعها قد مكنت الأمازيغية، على الأقل، من ولوج المدرسة المغربية لأول مرة في تاريخ المغرب الحديث لتصبح واقعا عينيا، إلا أن فعاليتها تبقى محدودة وتتطلب بذل مزيد من المجهود من لدن كل الأطراف المعنية.

سنحاول في هذه الدراسة تحديد أهمية التكوين بالنسبة لكل نظام تربوي وبالنسبة لتدريس الأمازيغية على الخصوص، من خلال استعراضنا لبعض ملامح هذه التجربة المتفردة على أرض الواقع مع إبراز مكامن قوتها وضعفها وآفاقها المستقبلية.

1. إعداد الأطر الخاصة بتدريس اللغة الأمازيغية بين التكوين الأساس والتكوين المستمر

يشكل كل من التكوين الأساس (Formation initiale) والتكوين المستمر (Formation continue) للأطر التربوية المنخرطة في العملية التربوية أحد المكونات الأساسية لتأهيل كل نظام تربوي وجعله مساهرا للتحويلات العلمية والاقتصادية والتكنولوجية والتربوية. كما أن "هيئة التدريس التي تشكل المورد الأساسي في هذا النظام هي مركز الجهود الهادفة إلى إصلاح كل نظام تعليمي" (OCDE, 2005 :7). فتدريس الأمازيغية بدوره يحتاج إلى تأهيل أطر تربوية في مستوى المهام المنتظرة، خاصة إذا كنا نطمح إلى مساهمة العديد من البحوث في هذا المجال، والتي تؤكد على أنه "كلما تم الاعتراف بتعدد المهام التربوية، كلما دعت الضرورة إلى إعداد تربوي ملائم للأطر التي ستقوم بالتعليم" بشكل مهني واحترافي (Romera Castillo, 1992 : 24).

قبل تحليل تجربة تكوين الأطر التربوية الخاصة بتدريس اللغة الأمازيغية، نرى من الضروري، في البداية، تحديد مفهوم "التكوين الأساس" و"التكوين المستمر" باعتبارهما مركزيين على المستويين المنهجي والإجرائي.

يستعمل مصطلح التكوين (Formation) على نطاق واسع في البلدان المتقدمة وفي البلدان السائرة في طريق النمو، ويتم اعتماده كاستراتيجية للتغيير والتجديد ومسايرة التحولات العالمية على المستويات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والتربوية. ويهم مفهوم التكوين "ثلاثة جوانب أساسية: إعداد الفرد لأداء مهام معينة، تدريبه على مهارة محددة، إمداده بمعطيات خاصة بميدان معين...". (الفراي، 1994 : 149). وعلى المستوى التربوي، يعتبر كل تكوين يستفيد منه المرشح لمهنة التدريس قبل انخراطه الفعلي في أداء مهامه تكوينا أساسيا يتيح له اكتساب معارف نظرية وكفايات تطبيقية. إذا كان التكوين الأساس يشير إلى هذا المعنى، فما هو الفرق بينه وبين التكوين المستمر؟

بالرغم من أنه لا يمكن الفصل كليا بين المفهومين، فإن التكوين المستمر يستهدف تطوير كفايات الأطر التربوية التي تزاو فعليا مهام تربوية، سواء كانوا مدرسين أو مفتشين أو مكونين. فهو إذن "تكوين يحصل خلال ممارسة المهنة ويستهدف ملء جوانب النقص المترتب عن التكوين الأساس، ويتخذ شكل التكيف مع التحولات أو تطوير التكوين أو إعادة التأهيل المهني". (Daouda et al, 2006 : 49)، ولا تنحصر أهداف التكوين المستمر في تطوير المهارات المهنية، بل تتخذ شكل "إعادة تشكيل التمثلات" (البغدادي، 1998 : 7) المتعلقة بمكونات مهنة التدريس نفسها.

إذا كان المفهومين يتداخلان ويختلفان في نفس الوقت، فما هو المفهوم الأقرب إلى إشكالية تكوين الأطر التربوية الخاصة بتدريس اللغة الأمازيغية؟ هل نحن بصدد التكوين الأساس أم بصدد التكوين المستمر؟ أم بصدد نموذج آخر مغاير ومتفرد يتعين تحديد هويته؟

عندما نتناول تكوين مدرسي اللغة الأمازيغية، على سبيل المثال، لا بد أن نتساءل عما يميز تكوينهم عن مدرسي المواد الأخرى في التعليم الابتدائي. فمن المعروف أن هذه الفئة يتم انتقاؤها لكونها ناطقة بأحد فروع اللغة الأمازيغية، رغم أن هذا الشرط لا يتحقق دائما على مستوى الواقع كما بينت التجربة. وبناء على هذا المعيار، يتم إخضاع هذه الفئة لتكوين يمتد على ثلاث دورات تكوينية

تجربة تكوين الأطر التربوية للغة الأمازيغية بين إكراهات الواقع وطموح التأهيل

في اللغة والديداكتيك، مدة كل دورة خمسة أيام، لتتولى تدريس هذه اللغة في مختلف مستويات المدرسة الابتدائية بمجرد استفادتها من دورة تكوينية أولى.

يبدو أن تكوين مدرسي اللغة الأمازيغية والأطر المعنية بتدريسها على العموم، لا يمكن تصنيفه بسهولة في إطار التكوين المستمر؛ فهو متداخل بين التكوين الأساس والتكوين المستمر، ويتجه أكثر نحو التكوين الأساس في اللغة، لكون هؤلاء لا يتوفرون على تكوين معرفي وأكاديمي في هذا المجال، حيث يكتسبون لأول مرة معارف جديدة كأبجدية تيفيناغ والإملائية والبنية الصرفية للاسم والفعل والجملة البسيطة والجملة المركبة. من هنا يلاحظ أن خصوصية التكوين تتجه أكثر نحو تكوين معرفي أساسي، على الأقل في مجال اللغة. أما في مجال الديداكتيك والتطبيق البيداغوجي، فهناك من جهة، المراهنة على نقل التجربة المكتسبة، وهناك من جهة أخرى، تملك كفايات ومهارات جديدة تتعلق باكتساب المعجم اللغوي والبيداغوجي والسيناريوهات الديداكتيكية وتحويلها إلى حقل الممارسة المهنية. من هنا يتبين أننا بصدد صيغة تكوينية متميزة ومتفردة عما هو متداول في أنظمة التكوين. ولا يمكن أن نتحدث عن التكوين المستمر، إلا إذا كنا نقصد التكوين الذي ينظم لصالح الأطر التربوية المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية خلال حياتها المهنية.

إذا كان من المفروض أن يخضع تكوين الأطر التربوية المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية لمواصفات محددة تستجيب لمفهوم المهنة (Professionnalisation) الذي يحيل على تعقد مهنة التدريس، وعلى ضرورة صياغة نموذج للتكوين في مستوى المهام المتعددة المنتظرة من المدرس، فكيف يتم التكوين على أرض الواقع؟ وهل يستجيب للمعايير المطلوبة في مهنة التدريس في مستوى التعليم الابتدائي؟

2. تكوين مدرسي اللغة الأمازيغية بين المهنة وإكراهات الواقع

تم تنظيم دورات تكوينية لأول فوج من المدرسين والمفتشين الناطقين بالأمازيغية في يوليو 2002، قبل صدور المذكرة رقم 82 التي نظمت لأول مرة صيغة التكوين المعتمدة إلى الآن. وقد أسند تأطير هذه الدورات لمفتشي التعليم الثانوي الناطقين بالأمازيغية وأساتذة ينتمون إلى التعليم العالي. وانخرط المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في هذه التكوينات ابتداء من 2003 بناء على اتفاقية الشراكة المبرمة بينه وبين وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، وتنص هذه الاتفاقية على "ضمان التكوين الأساسي والمستمر للأطر التربوية المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية" (اتفاقية الشراكة، ص.2). طبقا لما جاء في نص الاتفاقية، شرع المعهد بالتعاون مع وزارة التربية الوطنية والأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين في تأطير دورات تكوينية في مختلف الجهات، حيث تتكلف الوزارة عن طريق الأكاديميات بالجانب التنظيمي، في حين يتولى المعهد إعداد مخططات التكوين ومحتوى المجزوءات وتأطير التكوين. وقد نصت المذكرة الإطار على ضرورة تنظيم "ثلاث دورات تكوينية مدة كل واحدة منها خمسة أيام لفائدة الأساتذة الناطقين بالأمازيغية". (المذكرة 130:7).

خلال هذه الدورات التكوينية يوزع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية كل الوثائق البيداغوجية الضرورية لتدريس اللغة الأمازيغية، خاصة الكتب المدرسية والدلائل البيداغوجية لمختلف مستويات التعليم الابتدائي، إضافة إلى مجزوءات التكوين الخاصة باللغة والديداكتيك. وتتوخى التكوينات، بكيفية أساسية، تمكين المدرسين الذين انخرطوا لأول مرة في تدريس اللغة الأمازيغية، من اكتساب كفايات لغوية وديداكتيكية تؤهلهم لتدريس اللغة الأمازيغية في مستويات التعليم الابتدائي.

تروم هذه الدورات التكوينية تحقيق مجموعة من الأهداف، منها على الخصوص:

- الإمام بالبعد التاريخي والثقافي لمنهاج اللغة الأمازيغية؛
- الإمام بمرجعيات تدريس اللغة الأمازيغية؛
- تملك المبادئ الأساسية للغة الأمازيغية؛

- الإلمام بالإستراتيجية المعتمدة في معيرة اللغة الأمازيغية عبر أسلاك التعليم الابتدائي؛
- التمكن من المقاربات البيداغوجية المعتمدة في الحوامل الديدانكتيكية؛
- ضبط محتويات الحوامل البيداغوجية الخاصة باللغة الأمازيغية؛
- التمكن من منهجية تدريس مكونات منهاج اللغة الأمازيغية؛
- التمكن من تخطيط وتدبير وتقييم الوضعيات التعليمية-التعلمية الخاصة بتدريس اللغة الأمازيغية.

لتحقيق هذه الأهداف، يتم برمجة مخططات تستجيب لهذا الغرض من حيث محتوياتها التي تتناول، بصفة خاصة، محوري اللغة والديدانكتيك، وتكون على الشكل التالي:

● محور اللغة ويتكون من:

- أبجدية تيفيناغ؛
- القواعد الإملائية؛
- البنية الصرفية للاسم والفعل؛
- الجملة البسيطة والجملة المركبة.

● محور الديدانكتيك، وينصب بدوره على:

- الإطار المرجعي لتدريس اللغة الأمازيغية؛
 - منهاج اللغة الأمازيغية والمقاربات المعتمدة في التدريس؛
 - تقديم الكتب المدرسية والحوامل الديدانكتيكية لمختلف مستويات التعليم الابتدائي؛
 - تقديم منهجية تدريس مختلف الأنشطة، خاصة التعبير الشفوي والقراءة والكتابة.
- أما من حيث المنهجية المعتمدة في التكوين، فهي عبارة عن عروض نظرية وورشات، إضافة إلى معاينة دروس تطبيقية.

لقد تزايد عدد المستفيدين من الدورات التكوينية منذ انطلاق هذه التجربة، ويمكن ملاحظة هذا التطور من خلال الإحصائيات المتوفرة لدى المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية:

تطور عدد المدرسات والمدرسين المستفيدين من الدورات التكوينية

عدد المستفيدين والمستفيدات	السنة
1078	2004
1827	2005
1549	2006
1946	2007
1140	2008
7540	المجموع

المصدر: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2008.

تجربة تكوين الأطر التربوية للغة الأمازيغية بين إكراهات الواقع وطموح التأهيل

تتبعي الإشارة هنا إلى أن الأساتذة المستفيدين من الدورات التكوينية يتطوعون لتدريس اللغة الأمازيغية، وغير مجبرين على تولي هذه المهمة. ورغم أن هذا العمل يشكل عبئا إضافيا بالنسبة لهؤلاء، نلاحظ إقبالا ورغبة متزايدة لولوج هذه التجربة الفريدة من نوعها في تاريخ بلادنا.

إذا كانت هذه التجربة قد مكنت الأمازيغية من ولوج نظامنا التربوي، وحققت مكتسبات غير قابلة للإلغاء، وأصبحت واقعا عينيا، فقد صاحبها مجموعة من الإكراهات، نذكر منها على الخصوص:

- مدة الدورات التكوينية غير كافية لاكتساب الكفايات الأساسية لتدريس اللغة الأمازيغية؛
- صعوبة تحويل أساتذة غير ناطقين بالأمازيغية إلى مدرسين أكفاء في هذه المادة خلال دورات تكوينية محدودة؛
- ضعف التأطير البيداغوجي في الميدان لمصاحبة المدرسين الجدد؛
- عدم انتظام الدورات التكوينية كما تنص عليها المذكرات الوزارية؛
- ضعف انخراط كل الأكاديميات الجهوية في هذه التجربة، مما يجعل عددا من المدرسين يتولون تدريس الأمازيغية دون أن يستفيدوا من دورات تكوينية.

رغم كل هذه الإكراهات، وفي ظل غياب التحفيزات المادية والمعنوية وعدم الاعتراف بوضعية مدرسي اللغة الأمازيغية على غرار زملائهم في المواد الأخرى، فإن هذه الفئة تقبل على تدريس اللغة الأمازيغية بمحض إرادتها وتعتبر نفسها فئة مناضلة، تقف في جبهة الدفاع على اللغة والثقافة الأمازيغيتين. إلا أن هذه الرغبة الأكيدة الملاحظة لدى مدرسي اللغة الأمازيغية في الانخراط في هذا المشروع الوطني، لا بد أن تترافق بالحد الأدنى من الشروط التربوية وبالأخص توفير مصاحبة بيداغوجية، وضمان تأطير ملائم من شأنه تسهيل مهام المدرسين في فصولهم الدراسية.

3. ضمان تأطير تربوي ملائم عبر تأهيل مفتشي اللغة الأمازيغية

على غرار تكوين أساتذة اللغة الأمازيغية، يتم تنظيم دورات تكوينية لفائدة مفتشي التعليم الابتدائي الناطقين بالأمازيغية والممارسين في هذا المستوى. غير أن تكوين هذه الفئة المتطوعة بدورها في هذا الورش الوطني الهام، لا يتم على مستوى الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين كما هو الشأن بالنسبة للمدرسين، وإنما يتم على المستوى المركزي بالتعاون بين المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ووزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي. هذا وقد تولت مديرية التقويم والحياة المدرسية والتكوينات المشتركة بين الأكاديميات مهمة الإشراف على تدبير ملف إدماج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية الوطنية منذ إدراجها إلى غاية صدور المذكرة الجديدة المنظمة لتدريس اللغة الأمازيغية التي جعلت كل المديرات المركزية بوزارة التربية الوطنية معنية بهذا الملف، كل واحدة منها في إطار صلاحيتها (المذكرة رقم 116). وقد أشرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية إلى غاية نهاية 2008 على تنظيم أربع دورات تكوينية لفائدة هذه الفئة.

عدد المفتشات والمفتشين المستفيدين من الدورات المنظمة من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالتعاون مع وزارة التربية الوطنية

السنة	عدد المستفيدات والمستفيدين
2005	110
2006	95
2007	83
2008	75

المصدر: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2008.

استفاد من هذه الدورات التكوينية مفتشات ومفتشون ينتمون إلى مختلف الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين. كما تم تزويدهم بمختلف الوثائق المنجزة من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، من قبيل الكتب المدرسية والحوامل الديداكتيكية وكتب اللغة والنحو ومجزوات التكوين وغيرها.

إذا كانت مواصفات تكوين أساتذة اللغة الأمازيغية تتطلب تطوير كفاياتهم على مستوى تملك العناصر الأساسية لهذه اللغة، والتحكم في ديداكتيك تدريسها، فإن تكوين أطر التفتيش يتطلب تحديد استراتيجية مغايرة تتوخى إعادة تشكيل كفاياتهم المكتسبة لتولي تأطير تدريس اللغة الأمازيغية على مستوى الممارسة الفصلية، وتمكينهم من تملك القدرة على تحليل وتقييم هذه التجربة في أفق التحكم فيها.

لا شك أن خصوصية المهام المنوطة بممارسة هذه الفئة يتطلب وضع استراتيجية محددة تستهدف تحقيق مجموعة من الأهداف الأساسية. وتتمثل أساسا في:

- الإلمام بالبعد التاريخي والثقافي لمنهاج اللغة الأمازيغية؛
- الإلمام بمرجعيات تدريس اللغة الأمازيغية؛
- تملك المبادئ الأساسية للغة الأمازيغية؛
- الإلمام بالإستراتيجية المعتمدة في معيرة اللغة الأمازيغية عبر أسلاك التعليم الابتدائي؛
- التمكن من المقاربات البيداغوجية المعتمدة في الحوامل الديداكتيكية؛
- التمكن من منهجية تدريس مكونات منهاج اللغة الأمازيغية.

إذا كانت الأهداف السابقة قاسما مشتركا بين مجزوات تكوين المدرسين والمفتشين، فإن مهام التأطير البيداغوجي المسندة لهذه الفئة الأخيرة، تستلزم تطوير كفايات تمكنها من الانسجام مع طبيعة المهام المنتظرة منها. وهكذا تروم الدورات التكوينية، زيادة على تحقيق الأهداف السابقة، تملك كفايات من قبيل:

- تأطير ممارسة مدرسي اللغة الأمازيغية؛
- مساعدة المدرسين على فهم وتحليل ممارستهم البيداغوجية؛
- مساعدة المدرسين على التحكم في تدريس مختلف الأنشطة المكونة لمنهاج اللغة الأمازيغية؛
- مساعدة المدرسين على التمكن من الحوامل الخاصة بتدريس اللغة الأمازيغية؛
- تقويم ممارسة المدرسين.

لا شك أن مجزوات التكوين المهيئة خصيصا لهذه الفئة قد مكنتها من تملك الحد الأدنى من المعارف والمهارات الخاصة بتدريس اللغة الأمازيغية وتأطير ممارسة المدرسين في الميدان. غير أنه بالرغم من انخراط عدد مهم من المفتشين في هذه التجربة، عن طريق مشاركتهم في تأطير الورشات خلال الدورات التكوينية لمدرسي اللغة الأمازيغية، وعن طريق مساهمة بعضهم فعليا في تأطير أساتذة اللغة الأمازيغية في الميدان، فإن مسابرة هذه التجربة من طرف هذه الفئة تبقى محدودة ولا ترقى إلى المستوى المطلوب. هكذا يلاحظ أن مدرسي اللغة الأمازيغية لا يستفيدون على غرار زملائهم في المواد والتخصصات الأخرى من أنشطة بيداغوجية من قبيل تنظيم حصص تكوينية ودروس تجريبية على صعيد النيابات والمقاطعات، ويعود هذا الخلل إلى عدة اعتبارات، منها الطابع التطوعي لتأطير تدريس اللغة الأمازيغية وقلة المفتشين المساهمين في هذه العملية، إضافة إلى ضعف تكوين هذه الفئة.

إن تعميم تدريس اللغة الأمازيغية على المستويين العمودي والأفقي يتطلب مزيدا من الموارد البشرية المؤهلة، خاصة المدرسين. ولتحقيق هذا المسعى، لأبد من التفكير في توفير المزيد من المكونين في مستوى المهام المنتظرة منهم لينخرطوا في عمليات التكوين المنظمة من طرف مختلف

الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين، إضافة إلى ضرورة توخي تحقيق استقلالية التكوين على المستوى الجهوي والإقليمي والمحلي. من هنا ضرورة تأهيل المفتشين لتولي مهام التكوين. فلم يعد من الممكن الاعتماد فقط على عدد محدود من الباحثين في المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية لتغطية كل الدورات التكوينية في مختلف الجهات

4. تجربة الانتقال من مفهوم مفتش مؤطر إلى مفهوم مفتش مكون

لمسايرة عملية تعميم تدريس اللغة الأمازيغية حاليا في التعليم الابتدائي ومستقبلا في التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي، تبنى المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية استراتيجية إعداد وتأهيل مزيد من الأطر التربوية لتولي مهام التكوين المستمر. في هذا الإطار، نظم المعهد دورات خاصة إضافية للمفتشين الذين استفادوا على الأقل من دورتين تكوينيتين، وذلك لتأهيلهم ليصبحوا مكونين على المستوى الجهوي والإقليمي، أي على مستوى الأكاديميات والنيابات.

غير أن إعادة التأهيل (Reconversion) قصد التكيف مع المهام الجديدة يقتضي تطوير كفايات تتيح لهذه الفئة ممارسة العمليتين معا: التأطير كمهمة أساسية على مستوى المقاطعات، إضافة إلى المهمة الجديدة المتمثلة في التكوين المستمر لمدرسي اللغة الأمازيغية الممارسين في الميدان.

يقتضي الاضطلاع بالمهمة الجديدة تمكين هذه الفئة من:

- تحديد حاجيات مدرسي اللغة الأمازيغية في المجال المعرفي والبيداغوجي؛
- التمكن من إعداد مخططات التكوين المستمر تستجيب لحاجيات مدرسي اللغة الأمازيغية؛
- المشاركة في صياغة مجزوءات التكوين من الناحية المعرفية والمنهجية؛
- مساعدة المستفيدين على تملك المعارف الأساسية والتحكم في الممارسة البيداغوجية؛
- تقويم الدورات التكوينية والعمل على تصحيح مساراتها.

غير أن تجربة تحويل مفتشين مؤطرين إلى مكونين على المستويين الجهوي والإقليمي مازالت في بدايتها وتحتاج إلى مزيد من الوقت لتقييمها وبالتالي تطويرها مستقبلا. ففي الوقت الذي يعمل فيه المعهد على تشجيع هذه التجربة، يلاحظ تفاوتاً على مستوى الرغبة في الانخراط في عملية تكوين المدرسين، وستتقوى هذه الرغبة أكثر إذا توفرت شروط مشجعة على مستوى الأكاديميات والنيابات.

إذا كان تكوين الأطر المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية يتم بالشكل الذي حددناه سابقاً، وينظر إليه على أنه يشكل صيغة للتكوين المستمر، ويتطلب تحويل الكفايات المكتسبة إلى مجال الاشتغال الجديد، فهل يمكن المراهنة فقط على نقل التجربة البيداغوجية المكتسبة إلى حقل تدريس الأمازيغية؟

5. حدود المراهنة على نقل التجربة البيداغوجية المكتسبة إلى حقل تدريس اللغة الأمازيغية

لا شك أن الممارسة البيداغوجية ليست عبارة عن معطى تجريبي محض، بل ترتبط بمسبقات وتمثلات تحدها وترسم معالم تظاهراتها على مستوى الميدان. " فما دام التمثل هو المحدد للواقع بالنسبة للفرد يصبح كذلك محددًا للسلوك وللممارسة اليومية والمهنية" كما أكد أبريك عند تحليله للعلاقة بين التمثلات والممارسة أو السلوك اليومي. (Abric, J-C., cité par Doise, W., in Ghiglione et al, 1990:155) وما دما نراهن على نقل التجربة البيداغوجية والمهنية للأطر المعنية بتدريس اللغة، فإن هؤلاء سيعملون على تحويل تمثلاتهم إلى الميدان الجديد الذي يتجلى في تدريس اللغة الأمازيغية أو تأطير تدريسيها أو تكوين مدرسيها، حيث يصبح الواقع التربوي مدركا

وممارسا وفق التمثلات القبلية. في ضوء هذه الوضعية تتعثر عملية التغيير في العملية التربوية. فبدلا من إحداث قطيعة بين الممارسة التربوية السابقة والجديدة، تكرر الاستمرارية، ويتم نقل الصور النمطية المكتسبة في التجربة السابقة إلى الميدان الجديد.

هل تساعد الصيغة المعتمدة في التكوين على تجنب حدوث هذا المفعول الثانوي أو التأثير غير المرغوب فيه على مستوى فعل تدريس اللغة الأمازيغية في نظامنا التربوي؟ بتعبير آخر، هل تؤثر التجربة النمطية المكتسبة على تمثل وفعل تدريس الأمازيغية؟

أثبتت الدراسات التي أجريت حول هذه الإشكالية قابلية نقل المدرسين لتمثلاتهم المكتسبة إلى مجال ممارستهم الجديدة. حيث يعتبر عدد من الباحثين، في الوقت الراهن، أن مهام التكوين المستمر لا يتمثل فقط في " اكتساب المعارف وتعميقها وتحسينها وإنماء الكفايات خلال الممارسة"، (Comité) (d'orientation de la formation du personnel enseignant, 2002: 19)، وإنما يتجلى أيضا في "إعادة تشكيل التمثلات"، وإحداث قطيعة مفاهيمية مع التجربة النمطية السابقة.

يشكل التكوين المستمر أحد الحلول لهذا المفعول غير المرغوب فيه، حيث يتيح التأهيل الجديد تملك الحد الأدنى من الكفايات التي تساهم في التجديد ويقلل من هيمنة التمثلات النمطية على الممارسة البيداغوجية اليومية.

إن تعميم تدريس اللغة الأمازيغية على المستويين العمودي والأفقي وإدراجها في كل المسارات الدراسية يتطلب تكوين مزيد من الموارد البشرية المؤهلة. ولتحقيق هذا الهدف يتعين نهج استراتيجية واضحة تقوم على توسيع قاعدة التكوين الأساس، خاصة في مراكز التكوين.

6. التكوين الأساس وتوخي المهنة كحل لإشكالية تأهيل الأطر التربوية المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية

تعتبر تجربة تكوين الأطر المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية تجربة فريدة من نوعها في بلادنا، حيث تم تكليف أساتذة ومفتشين ممارسين في التعليم الابتدائي لتولي مهام التدريس والتأطير التربوي. إلا أن هذا الاختيار لا يمكن أن نراهن عليه على المدى المتوسط والبعيد، نظرا لمحدودية نجاعته على أرض الواقع. من هنا ضرورة الانتقال إلى الصيغة العادية المتمثلة في التكوين الأساس. وقد نص المشروع الاستعجالي 2009-2012 المعتمد من طرف وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي على ضرورة "مراجعة برنامج التكوين الأساسي لولوج مهنة التدريس مراجعة جذرية حتى يصبح أكثر فعالية، تحقيقا لملاءمة جيدة بين مواصفات التخرج وحاجيات المنظومة". (مشروع البرنامج الاستعجالي 2009-2012: 54)

في انتظار مراجعة صيغ تكوين الأطر التربوية لمختلف المستويات التعليمية على مستوى الجامعة ومراكز التكوين التي سيعاد تأهيلها، نستعرض تجربة تكوين المدرسين في مراكز تكوين أساتذة التعليم الابتدائي.

تمت إعادة تنظيم مراكز تكوين أساتذة التعليم الابتدائي ابتداء من السنة الدراسية 2006-2007، وقد مس هذا الإصلاح شروط القبول ومناهج التكوين، وأدمجت لأول مرة مجزوءات للتكوين في اللغة الأمازيغية وديداكتيكها، وتوجه هذه المجزوءات التي خصص لها غلاف زمني لا يتجاوز 80 ساعة للطلبة الأساتذة الناطقين بالأمازيغية وغير الناطقين بها.

نشير إلى أن "الوثيقة الإطار" المعدة من طرف وزارة التربية الوطنية سايرت التوجه العالمي في تكوين المدرسين، حيث أدمجت لأول مرة مفهوم المهنة في منهاج التكوين في مراكز تكوين أساتذة التعليم الابتدائي (الوثيقة الإطار).

جاء هذا التحول في المفهوم كنتيجة للتطورات التي حدثت في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي على مستوى البحث العلمي التربوي، على مستوى حاجيات الأنظمة التربوية والممارسة البيداغوجية. فهناك الآن اتجاه نحو تكريس المهنة (Professionnalisation) في مهن التدريس.

تجربة تكوين الأطر التربوية للغة الأمازيغية بين إكراهات الواقع وطموح التأهيل

حيث يحيل المفهوم الجديد إلى "تطوير الكفايات الضرورية للتمهين لاشتغال مهمة معينة"، مما يعني التمكن من "تعبئة المعارف المهنية وتعلم المحتويات وفعالية الأشخاص وتقاسم التجربة بين أعضاء المجموعة المعنية، وتنظيم المعارف المرتبطة بالممارسة"، إضافة " إلى المطالبة بالاعتراف الاجتماعي والقانوني بالوضعية" التي يشغلها الإطار التربوي. (Ministère de l'éducation du Québec, 2004 :13)

يتطلب تقييم تجربة إعداد مدرسي التعليم الابتدائي بعض الوقت، فلم تمر على اعتماد الصيغة الجديدة إلا سنتان. وتمهيدا لهذه العملية، نطرح السؤالين التاليين: كيف يتم التكوين الأساس بمراكز تكوين أساتذة التعليم الابتدائي؟ وهل يؤهل مدرس اللغة الأمازيغية في المستوى المطلوب؟

عند تحليلنا لمخطط التكوين المعلن عنه في " الوثيقة الإطار" نلاحظ أن مواصفات الولوج عند الطلبة الأساتذة تكون متقاربة في اللغة العربية والمواد العلمية والفرنسية. لكن مواصفات الولوج ليست كذلك بالنسبة للغة الأمازيغية. فلم يسبق للطلبة الأساتذة أن تكونوا في هذه المادة خلال مساراتهم الدراسية، وهذا لا ينفي وجود تفاوتات بينهم، فهناك طلبة ناطقين بأحد فروع اللغة الأمازيغية وهناك آخرون غير ناطقين بأي فرع لغوي أمازيغي.

ورغم هذا الاختلاف الجذري بين الأمازيغية والمواد الأخرى، فإن مخطط التكوين اعتبر اللغة الأمازيغية بمثابة دعم التكوين الأساس، كما هو الأمر بالنسبة للعربية والفرنسية والرياضيات والعلوم، حيث لا يتجاوز غلافها الزمني 30 ساعة، ومنح مخطط التكوين لديداكتيك اللغة الأمازيغية غلafa زمنية يتكون من 50 ساعة شأن ديديكتيك المواد المذكورة سابقا.

يطمح مخطط التكوين المعلن عنه في "الوثيقة الإطار" المعتمدة في تكوين أساتذة التعليم الابتدائي تحقيق هدف نهائي للإدماج يتضمن مجموع المواصفات التي ينبغي أن يتوفر عليها الطالب الأستاذ في نهاية تكوين يمتد على سنة، وتمت صياغة الهدف المنتظر بالشكل التالي: " عند نهاية التكوين، يصبح الطالب الأستاذ قادرا على تعبئة مختلف الموارد (الذاتية والموضوعية) لتخطيط وتدبير وتقييم أنشطة تعليمية وتعلمية في مختلف مواد ومستويات المدرسة الابتدائية، ووفق التوجهات الرسمية والبرامج والمناهج المقررة، مع أخذ خصوصيات المتعلمين الذاتية والموضوعية بعين الاعتبار، والتسلح بنظرة نقدية لممارسته وبهامش من الحرية والإبداع، في أفق تحيين هذه الممارسات وتطويرها باستمرار".

لأجراء هذا الهدف على مستوى التكوين في اللغة الأمازيغية وديداكتيكها، لابد من تأهيل الأساتذة المكونين الناطقين بأحد فروع اللغة الأمازيغية المتطوعين لتولي تكوين الطلبة الأساتذة في مجزوعي اللغة والديداكتيك. ومن بين الصعوبات التي تواجه تحقيق هذا المسعى، كون الأساتذة المكونين غير منسجمين على مستوى تخصصاتهم الأصلية. فهناك أساتذة متخصصون في الفرنسية ومتخصصون في اللغة العربية ومتخصصون في الاجتماعيات وفي تخصصات أخرى، وقصد الاضطلاع بهذه المهمة الجديدة "يحتاج المكون تملك مجموعة من المقاربات والأدوات المنهجية" لمواجهة هذه الوضعية الجديدة، (Pelletier, in Jean-Claude et Ruano-Borbalan, (dir.), 1998 : 365)

لمرافقة هؤلاء المكونات والمكونين في مهامهم الجديدة، نظم المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أربع دورات تكوينية بين 2005 و2008 استفاد منها أكثر من 60 أساتذة مكونة وأستاذة مكونة ينتمون إلى 32 مركزا لتكوين أساتذة التعليم الابتدائي. ركزت الدورتان الأولى والثانية على تمكين المستفيدين من مبادئ اللغة الأمازيغية ومنهجية تدريسيها، بينما تمحورت الدورتان الثالثة والرابعة حول إتقان منهجية بناء المجزوءات وتكوين الطلبة الأساتذة وفقا للمفاهيم المرجعية لهذه المجزوءات.

نكتفي هنا بالإشارة إلى أهداف ومحتويات الدورة الأخيرة التي نظمتها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالتنسيق مع وزارة التربية الوطنية في شهر أكتوبر 2008، والتي سعت أساسا إلى:

- دعم مكتسبات المستفيدين في مجالي اللغة والديداكتيك المرتبطتين بمنهاج اللغة الأمازيغية؛

- بناء عُدّة تكوين (Dispositif de formation) الطلبة-الأساتذة في مراكز تكوين أساتذة التعليم الابتدائي.

إذا كان تحقيق الهدف الأول يتطلب التركيز على محتويات من قبيل دعم المكتسبات المعرفية في مجال اللغة والديداكتيك، فإن الهدف الثاني يكتسي أهمية أساسية في عملية التكوين المستمر بالنسبة للأساتذة المكونين في مراكز تكوين أساتذة التعليم الابتدائي، حيث يتمكنون من خلال مشاركتهم في بناء مجزوءات التكوين من التحكم في منهجية تأطير الطلبة الأساتذة وفق بيداغوجية الإدماج (Pédagogie de l'intégration) المعلن عنها في الوثيقة الإطار وفي المخطط الاستعجالي لوزارة التربية الوطنية، وتوظيف منهجية العمل بالمجزوءات.

رغم المجهودات المبذولة على عدة مستويات لتحقيق تعميم إدراج اللغة الأمازيغية في منظومتنا التربوية وتوفير الموارد البشرية المؤهلة، مازالت صعوبات عديدة تعوق "تطبيع" الإدراج الملائم.

7. ضرورة "تطبيع" إدراج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية

حقق إدراج اللغة والثقافة الأمازيغيتين العديد من المكتسبات على أرض الواقع، ويعتبر الإدراج، في حد ذاته، حدثاً غير مسبوق في تاريخ منظومتنا التربوية. تتمثل هذه المكتسبات على الخصوص في صدور ترسانة تنظيمية تجلت في مجموعة من المذكرات الوزارية واستكمال منهاج اللغة الأمازيغية على المستوى العمودي، حيث تم إعداد الكتب المدرسية والدلائل البيداغوجية التي تغطي كل مستويات مرحلة التعليم الابتدائي. كما تم إعداد مراجع في النحو ومجزئات في اللغة والديداكتيك، وانصب الاهتمام بشكل متزايد على تكوين الأطر المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية، خاصة الناطقة بها.

غير أن هذه المكتسبات تبقى محدودة ولا تسمح بتحقيق التعميم على المستويين العمودي والأفقي ومواصلة إدراج اللغة الأمازيغية في التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي، إضافة إلى أنها لا ترقى إلى مستوى توخي المهنة على مستوى تكوين الموارد البشرية المؤهلة. من هنا ضرورة "تطبيع" (Normalisation) تدريس اللغة الأمازيغية في مختلف المسارات الدراسية، والانتقال من التجربة الحالية التي تشكل حالة استثنائية ومرحلة انتقالية إلى وضعية طبيعية مطابقة لما يجري العمل به في كل مكونات نظام التربية والتكوين، بدءاً من إصدار النصوص التشريعية ومواصلة إدراج اللغة الأمازيغية في كل المسارات الدراسية، وإعداد الأطر المعنية بالتدريس والتكوين والتأطير باعتماد التكوين الأساس في الجامعة والتكوين البيداغوجي في مختلف مراكز التكوين، خاصة أن الفرصة أصبحت مواتية، يتعين اغتنامها، مادام نظام التربية والتكوين مقبلاً على إصلاحات هيكلية.

إذا كانت تجربة إعداد الأطر المعنية بتدريس اللغة الأمازيغية في التعليم الابتدائي، عن طريق التكوين المستمر للأطر الناطقة بها، وعن طريق التكوين الأساس في صيغته الحالية في مراكز تكوين أساتذة التعليم الابتدائي مكنّت من إدراج اللغة الأمازيغية في المدرسة المغربية، فإنها لا ترقى إلى مستوى توخي المهنة والتأهيل الملائم للموارد البشرية. ولتجاوز هذه الوضعية الانتقالية، سواء تعلق الأمر بوضعية إدراج اللغة الأمازيغية ككل أو بالتكوين المستمر والتكوين الأساس، يتعين وضع استراتيجية تروم فتح مزيد من شعب ومسالك التكوين في الجامعات، وإعادة النظر في الصيغة المعتمدة حالياً في مراكز التكوين ومرافقة كل الإجراءات بوضع ترسانة تشريعية تحسم في وضعية اللغة الأمازيغية، خاصة في هذه الظرفية الملائمة التي فتح فيها ورش إصلاح منظومة التربية والتكوين.

البيبيو غرافيا

- البغدادي، محمد، (1998) "التكوين المستمر كإعادة تشكيل تمثلات المدرسين"، *المدرس*، العدد 2، ص 7-19.
- الفرابي، عبد اللطيف وآخرون، (1994)، *معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك* 1، منشورات علوم التربية، الرباط.
- اتفاقية إطار للشراكة بشأن إدماج تدريس اللغة الأمازيغية في المناهج والمسارات الدراسية، 26 يونيو 2003.
- الظهير المحدث والمنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، أجدير - خنيفرة، 17 أكتوبر 2001.
- المذكرة الوزارية رقم 82، 22 يونيو 2004.
- المذكرة الإطار رقم 130، 12 شتنبر 2006.
- المذكرة الوزارية رقم 116، 26 شتنبر 2008.
- الوثيقة الإطار لبناء عدة التكوين الخاصة بمراكز تكوين المعلمين والمعلمات وفق النظام الجديد 2006.

Comité d'orientation de la formation, (2002), *Offrir la profession en héritage*, éd. du Ministère de l'Éducation du Québec, Québec.

Daouda D., Cissé et Maiga M. (2006), « La formation des enseignants au Mali », *Formation et profession*, Vol.12, n°3, 45-51.

Ministère de l'éducation du Québec, (2004), *formation à l'enseignement*, éd. du Ministère de l'Éducation du Québec, Québec.

OCDE, (2005), *Le rôle crucial des enseignants*, éd. OCDE, Paris.

Pelletier, G. (1998), « Une spécificité pour la formation continue » in Jean-Claude et Ruano-Borbalan (dir), *Eduquer et former*, éd. des sciences humaines, Paris.

Romero Castillo, J. (1992), *Didactica de la lengua y literatura*, éd. Playor, Madrid.